**المحاضرة الخامسة: تطبيقات بلاغية نحوية للأنموذج القرآني رقم 03**

**الآية 44 سورة هود** **2021-11-15**

**د.باديس لهويمل**

أنموذج قرآني للتحليل في ضوء نحو الجمل والمعاني، أو ما يمسيه السكاكي تتبع خواص تراكيب الكلام .

قال تعالى::**"وقِيلَ يا أرضُ ابلعي ماءَك ، ويا سماءُ أقلعي، وغِيضَ الماءُ، وقُضي الأمر ، واستوتْ على الجودي، وقِيل بُعدا للقوم الظالمين )** "سورة هود آية 44 .

تحدث أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي في كتابه **مفتاح العلوم** عن هذه الآية مقدما تصوره لها ، وهو تصور يبدو أعمق مما يتناوله قبله عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز" فلم يكشف في تحليله لها عن كل أوجه الجمال الفني فيها ، وإنما اقتصرت عنايته على الجانب التأليفي بين الألفاظ ، ليؤكد مبدأ أساسيا لديه وهو "أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها(1) "

وقد بدأ السكاكي تحليله بذكر البنية العميقة للآية ، لينطلق منها إلى تحديد أوجه العدول أو الانحراف عن هذه البنية . والدلالات التي تولدت عن طريق **اختيار** المفردات وصور المجاز والتراكيب، وحسن التأليف بينها بما يضمن سلامة المعنى والإيجاز المطلوب في الآية.

السكاكي تناول في تحليله للآية خمسة مستويات هي:
المستوى الأول البنية المجازية.
المستوى الثاني : البنية الإفرادية .
المستوى الثالث : البنية التركيبية .
المستوى الرابع : البنية الدلالية .
المستوى الخامس : البنية الصوتية .

وهذه المستويات في مجملها تمثل جوهر التحليل لأي نص أدبي ،. والسكاكي قبل أن يكشف عن هذه المستويات حدد لنا البنية العميقة للآية بقوله" : إنه عز سلطانه لما أراد أن يبين معنى : أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وأن نقضي أمر نوح ، وهو إنجاز ما كُنَّا وعدنا ، من إغراق قومه فقضى ، وأن نسوى السفينة على الجودي فاستوت ، وأبقينا الظلمة غرقى ، بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه ، لكمال هيبته ، العصيان (2) "... ثم أخذ بعد ذلك في تناول المستويات كل على حدة : فعلى المستوى البياني : يتتبع السكاكي الصور المجازية باعتبارها اختيارات

خاصة ، اختيرت لتؤدي المعنى المراد والغرض البلاغي ، من بين اختيارات أخرى بديلة يمكن التعبير بها عن المعنى المقصود .

وقد كشف عن الأوجه الجمالية لكل اختيار منها ، وما أضافه من دلالة معينة إلى الدلالة الكلية للآية ومنها :

1-**المناسبة** التامة بين لفظتي ابلعي ، وأقلعي والمناسبة هي الإتيان بكلمات متزنة مقفاة وغير مقفاة والوزن ما يجعل المناسبة تامة . وقد تكون معنوية أو لفظية وهذه لفظية ومنها قوله له شراب من حميم وعذاب أليم وتظهر بلاغة ذلك في كون أنه لا فائدة من إقلاع السماء ما لم تبلع الأرض الماء فهناك مناسبة وترتيب مهم.

**2-الطباق** بين السماء والأرض وبه يظهر حسن الكلام حيث تتقابل السماء والأرض في تركيب الآية.

**3-الاستعارة: ابلعي / أقلعي** شبّه الأرض بعاقل(الّإنسان) يأكل ويبلع وحذف المشبّه به وأبقى على لازمة من لوازه وهي البلع فكانت استعارة مكنية ، والأمر نفسه في يا سماء أقلعي (استعارة مكنية)، وهناك من يعتبرها تشبيها للماء بالغذاء، حذف المشبه به وهو الغذاء وكنى عنه بصفة البلع)، وكما يتقوى الجسم بالغذاء تتقوى الأرض بالماء في الإنبات للزروع والأشجار. وجعل قرينة الاستعارة لفظة : **ابلعي** ، لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء .

**4- المجاز:** المراد ب يا سماء أقلعي، يا مطر السّماء أقلع، مجاز بالحذف وهو كثير في القرآن الكريم واسأل القرية" "بنى الملك المدينة" .

5- الإشارة: لأحداث جسيمة حدثت بألفاظ محددة . الإيجاز

6- جناس ناقص: ابلعي وأقلعي اتفاق لفظين مع اختلاف المعني. ومنه قوله يوم تقوم الساعة ، يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة.

7- **الإيجاز** : في قوله "وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي (وقيل بُعدًا : أَفَلَمْ يصرح بمن غاض الماء، ولا بمن قضى الأمر ، وسوَّى السفينة ، وقال : بعدا ، كما لم يصرح بقائل : يا أرض ، ويا سماء في صدر الآية ، سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية ، أن تلك الأمور العظام لا تتأتى إلا من ذي قدرة لا يكتنه قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره ، جلت عظمته"

كما يمكن النظر للآية من زوايا متعددة أخرى ومنها هذا التحليل:

**قيل**: فيها (إيجاز) إذ بنيت الكلمة للمجهول ، فليس مطلوبا أن تعرف القائل للعلم به فهذا نداء وأمر لغير العاقل ، وهو لا يكون إلا من الله سبحانه عز وجل القادر على أمر السماء والأرض ومخاطبتهما بالفعل والنهي .

السياق خارج القرآن يفترض أن نقول قال الله عز وجل. ولأنّ الأمر صادر إلى الأِض والسماء فلا يستيع أحد أن يُصده غيره سبحانه وتعالى.، فهو معلوم بالضرورة إذن .

**يا أرضُ**: نكرة وليست معرفة ولم يقل أيتها الأرض لأنّ المقام مقام تعظيم لله سبحانه وتعالى وبيان قدرته بوقف كل شيء بعد الطوفان وبأمر السماء والأرض غير العاقلتين (جماد).

وقال "يا" دون أيّ لأن الأخيرة تدل على التنبيه ، والإٍض والسماء ليستا غافلتي عن أمر الله عز وجل، ولذلك كان النداء بيا والنكرة إذ لا حاجة للتنبيه.

وأوردها نكرة أرض لتفيد أيضا معنى يا كل الأرض" تفجري عيونا ، ليفيض الماء في كل مكان.

وهناك بلاغة في تقديم الأرض على السماء، إذ لا معني لإقلاع السماء ما لم تبلع الأرض ماءها.

**ابلعي:** وليس اشربي: لأنّ المقام يقتضي السرعة وذهاب الماء بأقصى ما يمكن . ولم يقل ابتلعي لأن المقام مقام ايجاز في الجهد والوقت، وهو ما تحققه ابلعي لا ابتلعي .

**ماءك**: هناك ملاحظة عجيبةوهي نسبة الماء للأرض مما يعني أنّ الله عز وجل أمر الأرض ببلع مائها الذي تفجّر من عيونها بسرعة دون ما نزل من السماء، والغاية أن تجف الأرض وتستوي السفينة ليستيع راكبوها أن ينزلوا للياسبة.

**ويا سماء أقلعي**: أي انتهي تماما وتوقفي .

**وغيض الماء**: تحقق الأمر فالأرض بلعت ماءها دون ماء السماء الي يذهب للبحار والمحيطات. ولم يذكر الفاعل هنا لأنه معلوم (الله عز وجل).

**وقضي الأمر** : انتهى كل شيء مرة واحدة والأصل أن يستغرق أياما وشهورا.

**واستوت على الجودي**: استوت السفينة على جبل الجودي وحذف الفاعل لمقام الاختصار والإيجاز المناسب للحدث.

وقيل **بعدا للقوم الظالمين**: ذكر المصدر وليس الفعل لمناسبة الاختصار والإيجاز في مقام الآية. والقائل هنا هو الله عز وجل والملائكة وكل الصالحين ومن نجوا على السفينة.